السلطان بايزيد الثاني

فترة الحكم: ١٤٨١-١٥١٢

السلطان العثماني الثامن

الألقاب والأسماء الشعرية: الولي، وعدلي، والصوفي

اسم الأب: السلطان محمد الفاتح

اسم الأم: السلطانة الوالدة "كُلْ بَهَارْ"

محل وتاريخ الميلاد: ديديموتيشو على الضفة الغربية لنهر مريج بالقرب من بلغاريا، ٣ ديسمبر/كانون الأول عام ١٤٤٨

العمر عند اعتلاء العرش: ٣٣ عاما

سبب وتاريخ الوفاة: النقرس والسم، ٢١ مايو/أيار ١٥١٢

مكان الوفاة وموقع الضريح: جورلو في شرق إسطنبول، ويقع قبره بالقرب من مسجد بايزيد الذي بناه في ميدان بايزيد بإسطنبول

أبناؤه: محمود، وأحمد، وشاهنشاه، وياوز سلطان سليم، ومحمد، وكوركود، وعبد الله، وعليم شاه

بناته: عَيني شاه سلطان، وجوهر سلطان، وملوك سلطان، وخديجة سلطان، وسلجوق سلطان، وهُما خاتون

لوحة بفن المنمنمات تصور السلطان بايزيد الثاني، بريشة الفنان ليفني في صوره "المتخيلة لشجرة العائلة العظمي".

كان من المعتاد والمعمول به أن يتم تعيين أولياء العهد حكاما على إحدى "السناجق"[١٦]. فعُين بايزيد الثاني واليا على آماسيا وهو في السابعة من عمره. وكان له معلم ومستشارون يوجهونه، كما تلقى تعليما ممتازا بصفته ابنا لوالدٍ محب للعلوم والفنون. وفي منتصف عِقده الثالث كان قائدَ ميمنة الجيش العثماني في معركة "أُوتْلوكْبَلي"(Otlukbeli) في شرقي الأناضول عام ١٤٧٣. وعندما توفي والده السلطان محمد الفاتح، كان أخوه الأمير جَم واليا على كارامان.

وانقسم رجال الدولة فيما بينهم حول تأييد بايزيد وجم في مسألةِ مَنْ منهما سيكون خلفا لوالده. وفي نفس الأثناء كانت قوات الانكشارية في إسطنبول تقوم بتنظيم مظاهرات تؤيد بايزيد بصفته السلطان القادم. وقام إسحاق باشا والي إسطنبول بإحضار كورْكُودْ ابن بايزيد للجلوس على العرش بالإنابة، تجنبا لحدوث فجوة في خلافة حكم الأسرة العثمانية حتى وصول بايزيد الثاني لإسطنبول ليكون الحاكم الفعلي. وما إن وصل بايزيد الثاني إسطنبول حتى أُعلِن عن تنازل كوركد عن العرش لأبيه.

لكن الأمير "جَمْ" لم يتنازل عن حقه في العرش، فجمع داعمين له من رجال الدولة ذوي أصول تركمانية ودخل في تنافس من أجل العرش ضد أخيه الأكبر. و توجه جَمْ مع مساندِيه من الأناضول بجيش إلى بورصا واستولى عليها. وبعد تمكنه من هزيمة قوات أخيه الأكبر، أمر جَم بسكِّ اسمه على العملة والدعاء له في خطبة الجمعة كي يبدأ الاعتراف بسلطته. كما اقترح أيضا أن يقسم بايزيد الثاني الدولة بحيث يكون هو سلطانَ الأناضول النصف الآسيوي من الدولة، وبايزيدُ الثاني سلطانا على الروملي النصفِ الأوروبي. غير أن بايزيد الثاني رفض هذا الاقتراح وأعلن الحرب على جم.

وانتصر بايزيد الثاني في المعركة التالية في "يني شَهِر"، وأجبر جم على التراجع إلى كارامان. ثم لجأ جم لاحقا إلى المماليك في مصر عام ١٤٨١ وذهب إلى مكة من هناك لأداء مناسك الحج. لكن "قاسم بك" الكرماني حثه على العودة، فعاد جم إلى الأناضول ليخسر مرة أخرى المعركة أمام أخيه الأكبر. ثم لجأ إلى جزيرة رودس التي استعصت على أبيه حتى بعد حروب بحرية طويلة. وأخذ فرسانُ القديس يوحنا في رودس الأميرَ الشاب إلى فرنسا حتى يساوموا العثمانيين.

ثم نُقل الأمير الشاب من فرنسا إلى روما حيث سلمه الفرسان إلى البابا، ولم تنجح جهود بايزيد الثاني لخطف أخيه سرا من البابوية. وفي غضون هذا، أخذ الملك الفرنسي تشارلز الثامن السلطان جم معه في الحملة الفرنسية على إيطاليا، إلا أن

---

[١٦] جمع سنجاق، وهي الوحدات الإدارية التابعة في الترتيب للوحدات الكبرى التي كانت تسمى "بَيْلَر بَيْلِيكْ".

الأمير جم توفي عام ١٤٩٥ في الطريق إلى فرنسا، ربما بسبب السم، ونقل جثمانه بعد ٤ سنوات إلى بورصا.

إن استغلال الأوروبيين السلطان جم كورقة مساومة ضد العثمانيين عرقل زخم الفتوحات. ولعل بَذْلَ بايزيد الثاني جهوده للحفاظ على النظام الداخلي بدلا من التوسع الإقليمي الخارجي لعب دورا في ذلك أيضا، حيث قُضي على دولة الكارامانيين بشكل نهائي في هذه الفترة، وهم الذين أثاروا الفوضى دوماً في الأناضول، وتورطوا في حادثة السلطان جم وفي الشؤون العثمانية الداخلية عام ١٤٨٧.

كانت الهرسك قد اعترفت بالسيادة العثمانية على أراضيها من قبل وأُلحقت في نهاية الأمر بالأراضي العثمانية في عام ١٤٨٣. بعد ذلك فُتح حصنا "كيلي" و"آق كرمان" اللذان أعاقا الطريق العثماني البرّي من القرم ومَنَعا التجارة في البحر الأسود، وكان ذلك عام ١٤٨٤ على أيدي بايزيد الثاني نتيجة لحملته التي شنها ردا على تحالفِ أميرِ ولاشيا مع المجر ضد العثمانيين. ومثّل هذا الفتح ترسيخا للسيادة العثمانية على طول الشواطئ الغربية للبحر الأسود.

وقد دخلت السواحل الغربية للبحر الأسود في السيطرة العثمانية أيضا. وكانت موانئ البنادقة وحصونهم في المورة تعوق الملاحة العثمانية بشكل مستمر في البحر الأبيض. ولكن البحرية العثمانية زادت من قوتها في عهد بايزيد الثاني، فصارت تتحدي البحرية البندقية. وبعد معارك بحرية عديدة ضد البندقية، فتح العثمانيون "إينه باختي" ومودون وكورون ونافارين.. وقد قدم فتح إينه باختي، التي

صفحة البداية في نسخة من القرآن كتبها الأمير الصغير كوركود، ابن السلطان بايزيد الثاني

قفطان سلطاني قصير الأكمام، قصر "طوب قابي"

تقع على خليج في الجانب الشمالي من مضايق ليبانتو، للأسطول العثماني قاعدة حيوية من الناحية الإستراتيجية في البحر الأدرياتيكي.

لجأ المسلمون في الأندلس إلى الدولة العثمانية بصفتها الدولة الإسلامية الأقوى في ذلك الوقت عندما كانت محاكم التفتيش الكاثوليكية تمارس الضغط والاضطهاد والتعذيب ضد المسلمين واليهود في إسبانيا. ورغم رغبة بايزيد الثاني في مساعدتهم فإنه لم يتمكن من ذلك بسبب انشغاله التام في حادثة الأمير جم، ومع ذلك فقد أرسل القبطانَ كمال رئيس إلى إسبانيا لإنقاذهم من اضطهاد محاكم التفتيش وتعذيبها، حيث نقل المسلمين إلى شمال إفريقيا، واليهودَ إلى إسطنبول بالسفن. وفي عام ١٥٠٥ نَقل "كمال رئيس" مسلمي أسبانيا جنوبا إلى شمال إفريقيا،[١٧] واليهود شرقا إلى إسطنبول وسلانيك.

تدهورت العلاقات التي كانت هشة بالفعل بين العثمانيين والمماليك بسبب حمايتهم للأمير جم، وزيادةِ ضغطهم على إمارة "دُولْقادر"، وفرضِهم الضرائب على الحجاج الأتراك. وكانت المشكلات بين الطرفين قد بدأت خلال عهد محمد الفاتح بسبب مشكلات سبل المياه في الطريق إلى الحجاز. وبدأت سلسلة من المعارك بين العثمانيين والمماليك في عام ١٤٨٥ استمرت قرابة ست سنوات. وفي عام ١٤٩١، فَصَل السلطان التونسي في النزاع وساعد على إنهاء الحرب بين الطرفين المتناحرين اللذَين لم يتمكن أي منهما من إحراز نصر كبير في ساحة المعركة. ووفقا للهدنة المعقودة بين الطرفين، قبل العثمانيون بإعادة منطقتي أَضَنة وطرسوس اللتين استولوا عليهما في الحرب؛ بسبب كونهما مسجلتين في أوقاف الحرمين.

وفي عام ١٤٩٠ احتدمت منافسة على العرش في دولة "آقُّويُونْلو"، ونتج عن ذلك سيطرة شاه إسماعيل على أذربيجان العظمى في عام ١٥٠٢، وإقامة الدولة الصفوية. وتبنَّى الصفويون المذهب الشيعي باعتباره السياسة الرسمية لدولتهم، وحاولوا نشر المذهب الشيعي في الأناضول بعد ذلك. وكان الهدف الأساسي للشاه إسماعيل هو الاستيلاء على الأراضي العثمانية في الأناضول. ولكي يصل إلى هذا الهدف أرسَل أتباعَه البارزين إلى الأناضول لنشر المذهب الشيعي وإضعافِ السيادة العثمانية فيها.

وعندما أخذ تأثير سياسة الشاه في الظهور بالأناضول، كان الأمير الشاب سليم، الذي كان والي طربزون في ذلك الوقت، أولَ رجلِ دولة عثماني يدرك الاختراق الخطير للشاه في الأناضول، ويتخذ تدابير وقائية لمواجهته.

---

[١٧] لم يتم إلغاء محاكم التفتيش الإسبانية، التي كانت تجبر المسلمين واليهود في دولة الأندلس (٧١١- ١٤٩٢) على اعتناق الدين المسيحي، بشكل نهائي حتى عام ١٨٣٤. وقد نتج عن هذه السياسات ترحيل جميع المسلمين واليهود من أسبانيا.

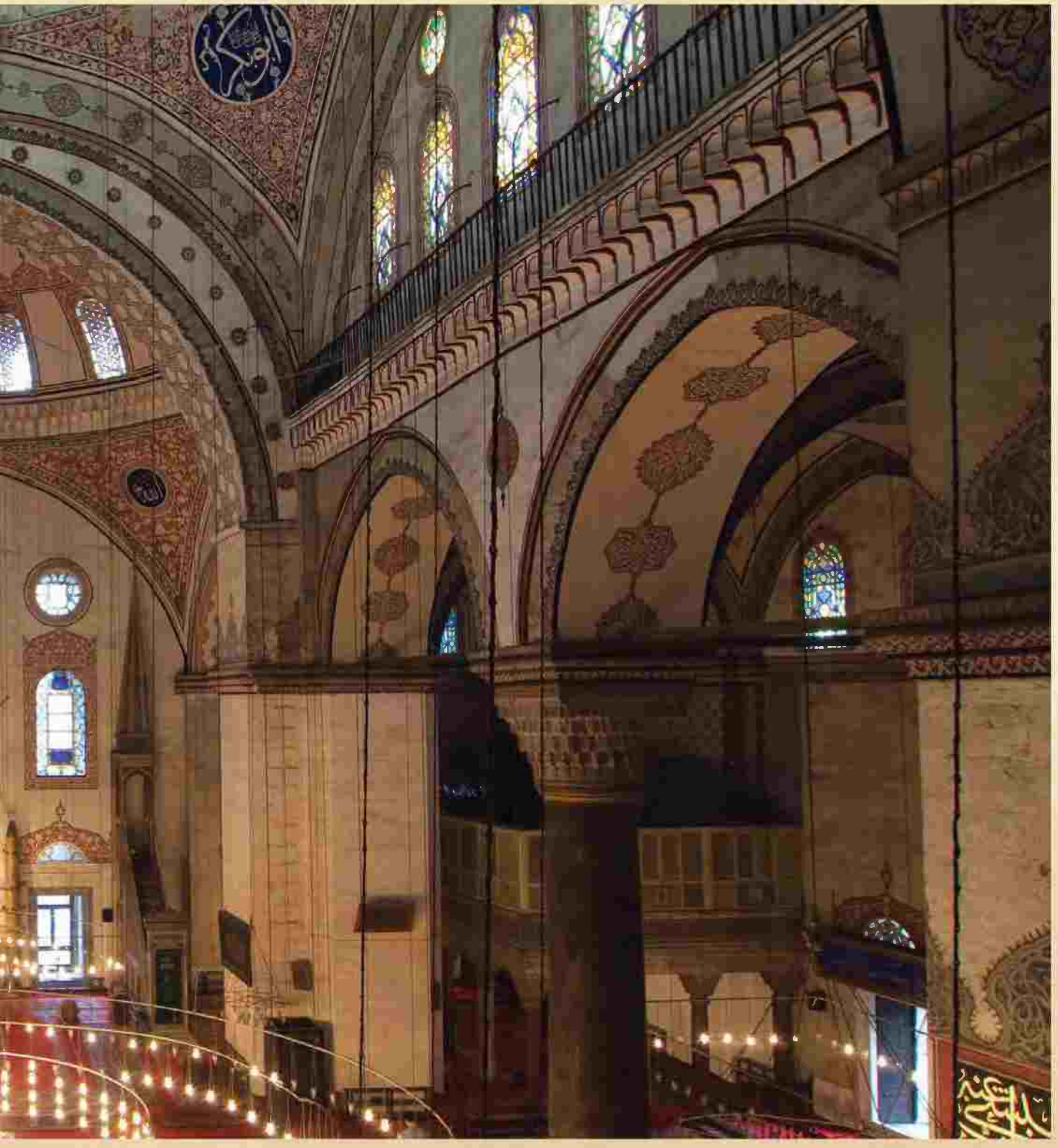

مسجد بايزيد من الداخل، والذي أنشأه السلطان بايزيد الثاني.

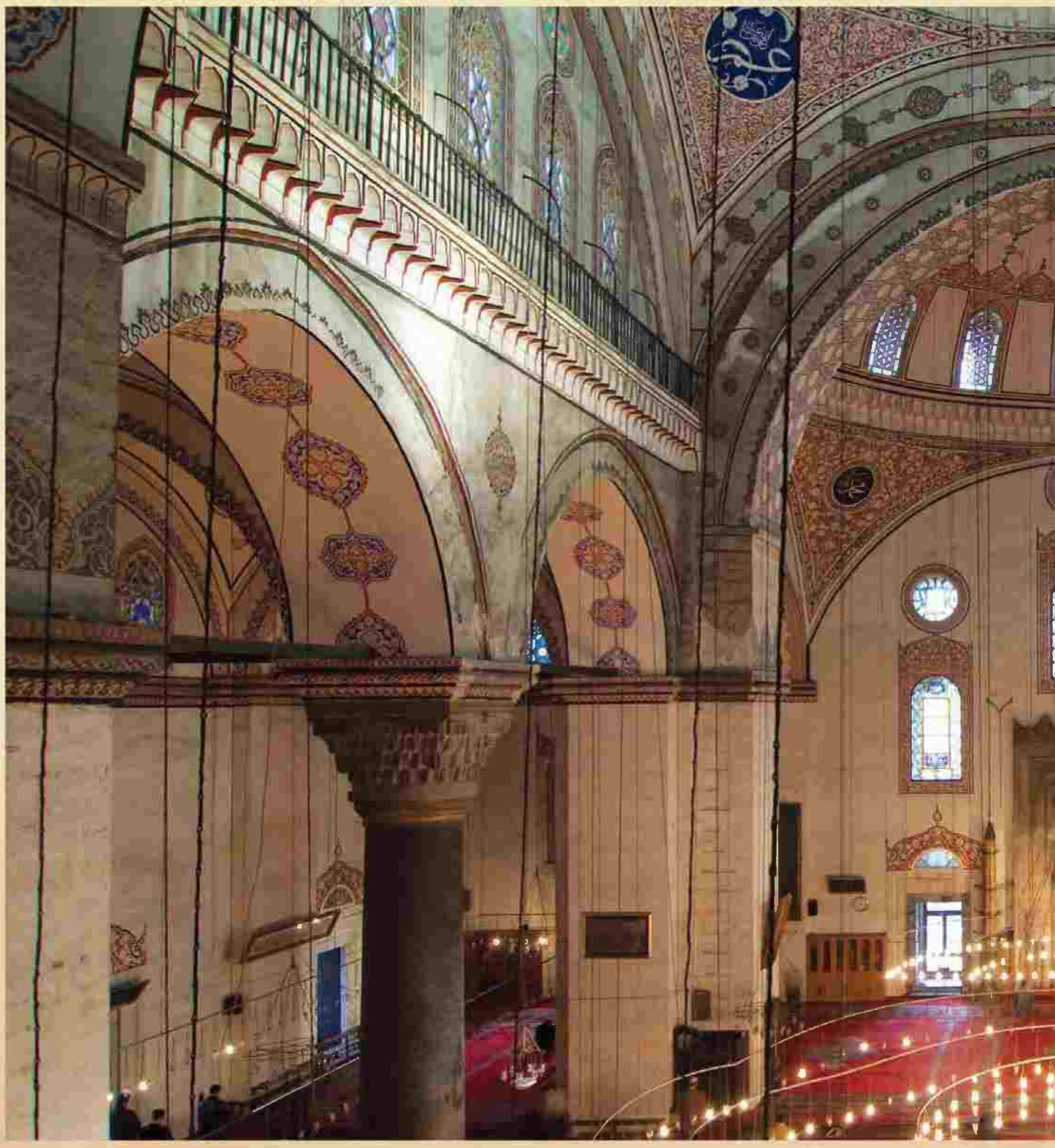

وقد أسفرت الثورة في منطقة "تَكَه" جنوب غرب الأناضول التي أثارها "نور الدين علي" الملقب بـ"الشاهْ كُولو" من رجال الشاه إسماعيل عام ١٥١١ عن صراع بين السنة والشيعة في الأناضول. وكان الشاه إسماعيل قد أرسل "نور الدين علي" إلى الأناضول مع ناشري المذهب الآخرين. واستطاع "الشاه كولو" أن يهزم القوات العسكرية التي أُرسلت للقبض عليه، ثم تحرك خلال المناطق القريبة من بورصا ليصل شمالا إلى سيواس ولجأ إلى الصفويين. ويبدو أن فشل الأمير أحمد الذي كان مكلفا بإحباط هذه الثورة كان أحد أهم الأسباب التي جعلت الأمير سليم هو السلطان القادم. وفي تُوكات (توقاد) كانت خطب الجمعة تتضمن الإشارة إلى شاه إسماعيل خلال التمرد. ورغم قمع هذا التمرد، فإنه لعب دورا عميقا في فقدان بايزيد للعرش، وشهدت الفترةُ التالية تنافسا على العرش فيما بين أبنائه.

ذهب الأمير سليم والي طربزون إلى "كَفَه" (Kefe) في القرم حيث كان ابنه الأمير سليمان (سليمان القانوني لاحقا) واليا عليها، وطلب من والده السلطان بايزيد الثاني أن ينقله إلى سليسترا على الضفاف الجنوبية لنهر الدانوب، لأنها كانت أقرب من إسطنبول، لكن والده لم يقبل هذا الاقتراح. وعندما تحرك الأمير سليم بقواته إلى أدِرْنه مرورا بكيليا، أعلن السلطان بايزيد الثاني نقل سليم إلى سمندرية، وأنه لن يسمح للأمير أحمد بالجلوس على العرش، غير أن الاتفاق لم يقم على أرضية ثابتة. فقد واجه السلطان سليم أباه عسكريا في النهاية، لكنه هُزم في معركة أوغراشكوي وعاد إلى كفا. بعد ذلك تمردت قوات الانكشارية عندما استُدعي الأمير أحمد إلى إسطنبول في سبتمبر/أيلول عام ١٥١١، حيث كانوا يريدون الأمير سليم قائدا لهم بدلا من الأمير أحمد. ووصل الأمير سليم إلى إسطنبول وقبّل يد والده في قصر طوبقابي. وتنازل بايزيد في ذلك الوقت عن العرش لصالحه. والغريب أن بايزيد الثاني الذي تولى العرش استجابة لضغوط الانكشارية، تنازل عنه لنفس السبب مرة أخرى في ٢٤ أبريل/نيسان عام ١٥١٢، أي بعد واحد وثلاثين عاما.

وعندما كان بايزيد يغادر إسطنبول للتقاعد في مدينته الأصلية "دِيمَتُوقَه"، رافقه السلطان سليم حتى غادر أسوار المدينة. وشعر بايزيد الثاني بالإعياء عندما وصل إلى قرية آبَالاَرْ بالقرب من جورلو وتوفي في يوم ٢١ مايو/أيار عام ١٥١٢. ورغم التكهنات المتضاربة حول أسباب موته، فإن مصادر كثيرة تتفق على أنه قد مات بالسم.

كان بايزيد الثاني رجلا طويل القامة، ذا عينين شهلاوين، وصدر عريض، وبشرة سمراء، وكان رحيما بطبيعته. وكان مسلما ورعا، حتى إنه بات يعرف باسم "بايزيد الولي"، وذلك لأنه كان مهتما بواجباته الدينية والخيرية بشكل استثنائي. وكان مناصرا للسلام ولم يدخل في الحروب إلا عند الضرورة، مما عزز فتوحات عهد أبيه بشكل ناجح.

جمع بايزيد الثاني العلماء المشهورين حوله منذ سنواته كَوَلِيّ للعهد كي يزداد حكمة ومعرفة، وكان شاعرا ألّف ديوانا طويلا يجمع الكثير من القصائد الغنائية تحت اسم "عَدْلِي". كما كان خطاطا موهوبا، وكان

يعرف اللغتين الأويغورية التركية والإيطالية.

وعندما توفي الملا كوراني مستشار السلطان محمد الفاتح ومعلمه الروحي، شارك بايزيد الثاني، نجل الفاتح، في جنازته ودفع تكاليفها من خزانته. وكان بايزيد يرعى ويدعم جميع أنواع البحوث العلمية والأدبية، ولذلك شهدت فترة حكمه ظهور الكثير من العلماء والفنانين المتميزين مثل: الملّا لطفي ومؤيد زاد عبد الرحمن وابن كمال وإدريس البدليسي وتاجي زاده جعفر وزنبيلي علي أفندي ونجاتي وذاتي ووصالي وفردوسي. كما تواصل بايزيد أيضا مع الفنانين في أوروبا؛ ففي خطاب كتبه ليوناردو دافنشي، مازال موجودا في سجلات قصر طوبقابي، يقول دافنشي إنه مهتم بإقامة جسر يصل إلى القرن الذهبي والبوسفور. كما أراد مايكل أنجلو أيضا زيارة إسطنبول عندما سمع بهذا الخبر، لكن تلك المشروعات لم تتحقق على الإطلاق للأسف.

أنشأ السلطان بايزيد الثاني الكثير من المؤسسات الخيرية في إسطنبول وأَمَاسيا وأدِرْنه وعُثْمَانْجيك وكيوه وصاروخان، ومن أمثلتها مجمعات المباني الخيرية (külliye) في إسطنبول وأدِرْنه وبِرِنْجْ هان في بورصا الذي كان يؤجر لدعم المنظمات الخيرية المختلفة.

سورة ظلية لمسجد بايزيد بميدان بايزيد والذي يعد أحد السمات المميزة لشبه جزيرة إسطنبول التاريخية (حوالي عام ١٨٧٠).

بعض الباعة المتجولين ومجموعات من الناس يحتشدون في فناء مسجد بايزيد نحو عام ١٩٠٥. وتاريخيا كان ميدان بايزيد الذي يطوق المسجد ساحة للمعارض، وخصوصا خلال شهر رمضان.

صورة فوتوغرافية أخرى لمسجد بايزيد التقطت في مطلع القرن العشرين.